طوق النجاة الأول

تهيئة المجتمع وتأهيله

* من سيصنع الحضارة (نظرة على واقعنا الاجتماعى)

* منظومة القيم المؤهلة للحضارة

obeikandl.com

obeikandl.com

إذا أذبت الملح فى الماء فلا تتعجب أن الناتج ليس عسلاً ، فالنتائج لا تصنعها أمانينا ولكن تصنعها أفعالنا .

من سيصنع الحضارة ؟
نظرة على واقعنا الاجتماعى

إن لكل مجتمع جسدًا وروحًا ، فأما الجسد فهو يتمثل فى أفراد المجتمع ، وأما الروح فهى تتمثل فى منظومة القيم الساكنة فى هؤلاء الأفراد ، ومنظومة القيم هذه لاتختلف فى جملة مكوناتها من مجتمع لآخر ، وإنما الذى يختلف من مجتمع لآخر ويميز مجتمعًا عن آخر هو ترتيب مفردات هذه القيم داخل تلك المنظومة ، أى موقع كل قيمة من باقى القيم أى مكانة كل قيمة مقارنة بغيرها من القيم فى وجدان وأذهان أفراد المجتمع أو بصورة أدق فى وجدان وأذهان الغالبية العددية من أفراد المجتمع .

إن منظومة القيم هى أخطر مما قد يظن البعض ، فهى التى تحكم أفعال المجتمع وردود أفعاله تجاه الأحداث والمتغيرات المختلفة ، وهى التى تحدد أولويات هذا المجتمع وتوجهاته وهى التى تمنحنا كل ما نحتاجه من إجابات على ما قد يدور فى أذهاننا من تساؤلات عن واقع هذا المجتمع بكل ملامحه ، وهى بالتالى تعطينا إمكانية استنباط مستقبل هذا المجتمع بدرجة كبيرة من الدقة باعتبار أن غدنا الآتى هو الإبن الشرعى ليومنا الآنى ، وهو تفسير لايعنى إقرارًا بعلم الغيب ولا اعتقادًا فى التنجيم ولا قطعًا بالنتائج ، وإنما يعنى فقط أن النتائج تبنى على الأسباب وأن هذه الأسباب والنتائج ما هى إلا معادلات منطقية يخضع لها فكر البشر ولكنها فى الأساس تخضع لإرادة الله ومشيئته فهو خالق البشر والأسباب والنتائج وهو وحده القادر على إبطال المنطق وتجاوزه ، فحسبه من طلاقة القدرة كن فيكون ، ولكن الله لا يتجاوز الأسباب والمنطق من أجل أمة لها واقع أمتنا التى أمعنت وتفننت فى مخالفة خالقها قولاً وفعلاً .

إذن فلا مجال أمامنا سوى أن نفكر بالمنطق ونأخذ بالأسباب والمقومات المادية لنتبين أن مستقبل أى مجتمع يمكن استنباطه من حاضر هذا المجتمع ، لذا فإن صانعى السياسات

والإستراتيجيات ومتخذى القرارات لابد أن يسترشدوا بمنظومة القيم السائدة فى المجتمع فى سبيلهم لوضع سياسات الحاضر والمستقبل ، وإلا فإنهم سيكونون كمن أذاب الملح فى الماء وانتظر عسلاً ، أى أن هؤلاء المسئولين ليس أمامهم سوى أحد بديلين ، أولهما أن تظل أهدافهم المستقبلية هى العسل الذى يتشدقون به وبخلاياه ونحله وهنا يتحتم عليهم تغيير الواقع وملء الكوب بماء ممزوج بالسكر ، وثانى البديلين هو الإبقاء على الواقع كما هو وكما أراه وكما يراه الجميع مجرد ماء ممزوج بالملح ، وهنا يتحتم تغيير أهدافهم المستقبلية لتكون شربة ملح بدلاً من العسل ــ وهى فى أسوأ الحالات لن تخلو من المنافع الطبية ــ أما أن يظل الواقع ماء وملح وتظل أهداف المستقبل هى العسل ، فهذا هو الخلل والتخبط فى أقصى درجاته والشيزوفرينيا فى أسوأ حالاتها والجهل فى أحلك دركاته (اللهم الطف بنا فى الدنيا والآخرة) .

مقدمة طويلة لابد منها كى ننتقل بعدها إلى المجتمع المصرى ــ كمثال على أغلب المجتمعات العربية والإسلامية ــ لنسلط الأضواء على قيمه السائدة بين جميع فئاته السنية وطبقاته الاجتماعية بصفة عامة وبخاصة بين فئة الشباب الكائنة بين بدايات سن المراهقة وصولاً إلى سن الخامسة والثلاثين ، باعتبارها الفئة التى تمثل مستقبل مصر القريب ــ إن لم تحتكره قيادات الحاضر التى هى قيادات الماضى والتى ضيعت على جيل كامل حق المشاركة فى تحمل المسئولية ــ وباعتبارها أكثر الفئات تعدادًا ، فما هى منظومة القيم السائدة بين هؤلاء الشباب والتى تحدد أفعالهم وردود أفعالهم وأولوياتهم وتوجهاتهم ؟ وهل هذه المنظومة التى تسرى فى عقول هؤلاء الشباب ووجدانهم هى بمثابة حتميات لا يمكن تعديلها ؟ أم أنها مجرد منتج من صنع إرادتنا وبالتالى فإننا قادرون على تعديلها ؟

نبدأ أولاً بتركيز الأضواء على منظومة القيم السائدة بين فئة الشباب من خلال تناول واقعهم الذى نراه جميعًا ذا دلالات قاطعة لا تقبل الجدل أو الشك أو المراوغة تفيد بأن هؤلاء الشباب قد صاروا نسخًا ومسخًا وظلاً لكل ما فى الحضارات الأخرى من سلبيات وهى كلها مظاهر تجعلنا نؤكد أنهم أبعد ما يكون عن مؤهلات صناع الحضارات، بل قد تجعلنا نؤكد باطمئنان أنهم متشربون بمؤهلات هادمى الحضارات ، وحيث إننا أمة لازالت تحبو على بدايات طريق إقامة حضارة جادة وباقية

– أو هكذا ندعى ونتمنى – فلا بد أن نسأل ونتساءل :

* هل حضارتنا المنشودة سيصنعها الشباب والشابات الذين وصل بهم التبجح على الفضائل والإنكار لقيم المجتمع والانفصام عن معتقداته إلى الحد الذى جعلنا نرى مانراه من ثنائيات وتجمعات عابثة ومستهترة ومنحلة ورخيصة فى مختلف الأماكن العامة والطرقات وأعلى الكبارى وأسفلها وعلى امتداد الكورنيش وداخل السيارات وفى الحدائق والملاهى بل والمؤسسات التعليمية وما خفى كان أعظم (رجاء النظر فى صفحات الحوادث كمؤشر محدود جدًا عن شبكات الآداب وتجمعات الرذيلة) .

وأعود لأسأل هل هؤلاء هم أمل مصر فى صنع حضارتها ؟ وماهى أدواتهم فى هذه الصناعة ؟ أهى الجنس الرخيص أم هى الإقبال على مغيبات العقل والضمير ، أم هى عقوقهم لآبائهم وأمهاتهم ، أم هى تبجحهم على أساتذتهم ، أم هى اعتناقهم لقيم المادة على حساب قيم السمو ، أم هى التعالى على القانون واحتقاره على خلفية ((إنت ما تعرفش أنا مين وابن مين)) !!

ثم أين الحكومة بجميع مؤسساتها ومسئولياتها وسلطاتها وأجهزتها من هذا الواقع ؟ وهل هى راضية عن هذا الواقع أم أنها رافضة له ؟ وإن كانت رافضة له فأين دورها غير الملموس وغير المؤثر فى محاربة هذه الظواهر التى استفحلت وأساءت لسمعة مصر والمصريين بالداخل والخارج ؟ أم أن الحكومة الراغبة فى تحديث مصر وإقامة الحضارة لا تدرك أنها مطالبة ومسئولة ــ إن لم يكن فى الدنيا فحتمًا فى الآخرة ــ عن تقصيرها فى إبراز القدوة الصالحة لهؤلاء الشباب بدلاً من تركهم فريسة لأرباب الجنس والسقوط والتبجح من أمثلة فتيان وفتيات الفيديو سليب والراقصات ومطربات البكينى وأشباههن ممن يدعين لأنفسهن رسالة واللائى أجمعن على أن مصر وشعبها هما القاعدة المثلى لانطلاقهم إلى عالم الشهرة والثراء والنجومية ، مصر التى يوجد بها ثلاثة ملايين عاطل لا يجدون فرصة للعمل ، مصر التى تعانى أزمات اقتصادية وتعليمية وإسكانية جعلت ما يقرب من خمسة ملايين مصرى يعيشون تحت خط الجوع وهو خط يقع فى المساحة التالية لخط الفقر فى اتجاه العدم ، ثم لماذا تجاهل الحكومة لمافيات صناعة وتلميع أمثال هؤلاء والإعلاء من شأنهم والمبالغة فى احترامهم ؟ ثم ماذا تنتظر الحكومة من شباب

مصر الراغبة فى الحضارة وهم يرون هؤلاء الهوامش وقد صاروا أسيادًا ورموزًا فى مجتمع عربى مسلم ؟ وأى قيم تنتظر الحكومة أن يعتنقها الشباب وهم يرون هذه الساقطة أو تلك وقد نالت جائزة رسمية عن عمل تعرى فيه جسدها ونال منه من نال حتى رأى منها الناس مايراه الزوج من زوجته ؟ وأى قيم تنتظر الحكومة أن يعتنقها الشباب وهم يرون الكثيرين من رجال الدولة وقد تأنقوا وتألقوا لحضور حفل راقص دونما خجل من أوضاعهم السياسية ومراكزهم القيادية الرفيعة .

أيها الناس اتقوا الله فى شباب مصر وشباتها فهم جميعًا أبناؤكم وهم أملنا فى صنع الحضارة ، وليست كل الحضارات باقية وقوية ولها فى كتب التاريخ مكان ومكانة ، وثمة فروق جوهرية بين حضارة محمد على وحضارة شارع محمد على !!

* هل حضارتنا المنشودة سيصنعها أبناؤنا المشتتون التائهون فى دهاليز ولوغاريتمات العملية التعليمية التى قد يتوهم البعض أننا سنتوهم أنها سياسة حقيقية للتعليم ، وأن لها خطوات ومراحل وأهداف تتواءم وأهداف التحديث الذى نأمله والحضارة التى نتشدق بها ، هل يظن أحد أننا سنتوهم ذلك برغم كل ما تحويه هذه العملية فى طياتها من معاول هدم لأحلام وطموحات وقدرات أبنائنا ، وبكل ما تثمره لنا من سلبيات سلوكية وأخلاقية تتمثل فى تفشى ظاهرة الزواج العرفى وغيره من صور زواج الزنى بين الطلبة والطالبات فى المرحلة الجامعية بل وفى المرحلة الثانوية بل وفى المرحلة الإعدادية التى هى البداية الأولى لسن المراهقة بكل مافيها من مخاطر تجاهله المسئولون وتجاهلها أولياء الأمور وتجاهلها القائمون على التعليم متشدقين بشعارات الزمالة الوهمية التى أفرزت على صفحات الحوادث العديد من حالات الحمل .. وأكرر العديد من حالات الحمل فى أرحام الطالبات من زملائهم فى مختلف المراحل التعليمية ، وأنا شخصيًا على يقين قاطع بأن ماينشر هو نقطة من بحر الحقيقة التى لا يعلمها الشعب ولكنها معلومة كل العلم للمسئولين الكبار الذين لو كانت فيهم بقية من ضمير ينبض وإرادة تنهض لزلزلوا الأرض زلزالاً ولكنهم باعوا أنفسهم وخانوا ضمائرهم وغيبوا إرادتهم ليشتروا عرض الدنيا وما هى إلا أيام أو أسابيع أو شهور أو أعوام طالت أم

قصرت سيقفون بعدها بين يدى اللـه ولنا معهم حينها وقفة قصاص لا نملكها فى الحياة الدنيا التى أدخلوا أبناءنا خلالها فى مسلسل هابـط تنتهى حـلقاته الهابطة – التى سـنتناولها بشىء من الإفاضة مستقبلاً – بصدمة التخرج والحـصول على المؤهلات العليا ، ليبدأ كل هؤلاء فى إدراك الملامح الحقيقية للواقع ، حيث جميع الأحلام متاحة ومباحة فقط إذا ما توافر الثمن ، والثمن غالبـًا ما يكون فى إحدى صور الوساطات والمحسـوبيات ، فالذى يستند بظهره إلى أحد الوزراء أو أحد كبار رجال المال والأعمال أو إحدى قـمم الرقـص هو مؤهــل تمامًا كى يبـدأ حـياتـه الوظيفية بما لا تنتـهى إليـه الحيـاة الوظـيفـية للغـالبية العـظمى من أبناء الشعب لالذنب اقترفوه سوى أن عائلاتهم أو معارفهم ليس منهم وزيـرًا أو رجـل أعمال أو راقصة .

* هل حـضارتنا المنشودة ستصنعها أجيال الضعـف والوهن الذيـن تنـفسوا هواءً ملوثــًا وشربـوا ماءً ملوثــًا وأكـلوا طعامًا ملوثــًا وأحـاط بهم التـلوث السـمعى والبـصـرى والإحـباطات النفسـية من كل جانب ؟ حتى صرنـا نســمع ونـرى إحـصائيات رسمية مفـزعة ، إن دلت فإنما تدل يقينـًا على أن البعض لايريد لمصر حاضرًا ولا حضارة وأن هذا البعـض يـصر على إيـذاء مصر فى أغلى ماتملك ألا وهـم شـبابها ونشـئها وأن هـذا البـعض لديه من الصلاحـيات ما يمكـنه من آداء مهمته فى غفـلة من الجميع ، وإلا فما معنى ما يذاع علينـا تليفزيونيـًا ضمن حـملة التبرع لبناء مستشـفى الأورام وبما يفيد أن مصر بها نصف مليون طفل مصابون بالأورام ولا يجدون علاجًا ، وهل هذا من باب الاستجـداء أم أن هـذا هو الواقع ؟ نـصـف مليـون طفـل مصرى مصابون بالأورام ولا يجـدون علاجًـا ــ حـسبنا اللـه ونعـم الوكيل ــ إلى هـذه الدرجة صارت الصـورة مرعبة ؟ وبماذا توصف الصـورة إذا ماكان هناك نصـف مليون آخر مصـابون بالأورام ولكنهم يعالجــون ؟ وبماذا توصف الصورة إذا ماكان هناك نـصف مليـون آخر مصابـون بالأورام ولكنهـم خارج الإحصائيـة ؟ وكيف ستبدو لنـا الصورة إذا ما أضفنـا لهـؤلاء وهؤلاء مئـات الآلاف من الأطفـال المصــابين بأمراض الكـبد الوبائيــة وأمراض الفشل الكلوى وأمراض السكر والقلب والمصابين بالإعاقات البدنية والذهنية وهم يبلغون وفق

آخر الإحصاءات ١٠٪ من إجمالى السكان ــ أرجو ملاحظة أننى لا أقول عشر حالات أو مائة أو ألف أو حتى مائة ألف إنما ١٠٪ ــ أى ما يقرب من سبعة ملايين معاق منهم مليونى معاق ذهنيًا !! (إننى لازلت مصرًا على أن البعض يهدف إلى اغتيال الأمة عبرجريمة وفق معطيات الواقع ستقيد غالبًا ضد مجهول) !

ثم كيف ستبدو الصورة لنا إذا ما أضفنا لجميع هؤلاء ماسبق إعلانه عن وجود مليونى طفل من أبناء الشوارع (لاحظ أن كل منهم يعتبر مشروع مجرم !) ؟ وأخيرًا كيف ستكون الصورة إذا أضفنا إليها المصابين بالأمراض المختلفة من الشباب فى المراحل السنية الأكبر ؟ لاشك أنها صورة مرعبة إذ أننا نقف فيها على حافة الهاوية مدفوعين من قوة هائلة لا تعرف للثراء والنجومية وسيلة سوى تدمير هذا الشعب الذى يتنفس سموم الصناعة ويأكل سموم الزراعة ويشرب سمومهما معًا لكى يموت بعيدًا عن مواد القانون وقبضته العاجزة عن مواجهة ديناصورات الفساد والإفساد !!

الإخوة عشاق الوطن .. على الرغم من كل هذا الظلام الذى يحيط بواقع شبابنا وواقعنا جميعًا وينذرنا بمستقبل أحلك ظلمة فإننى أؤكد أنها ظلمة وظلم صنعناه بأيدينا ونحن قادرون على تبديده وتبديله إذا خلصت النوايا فثمة شعاع يحمل إلينا الأمل ، ولكنه أمل قائم على العمل لا على الأمنيات ، فإذا كنا جادين فى صناعة حضارة قوية وباقية فلا مناص من إعادة ترتيب منظومة القيم لخلق واقع آخر يحمل جينات الحق والخير والجمال لينقلها بالوراثة إلى مستقبل نستحق فيه أن نكون خير أمة أخرجت للناس .

obeikandi.com

إذا خُدعنا فى السراب بعض الوقت ، فلا يجب أن ننخدع كل الوقت، لأن إصرارنا على الوصول إليه والارتواء منه لا يعنى إلا إصرارنا على الموت ظمأً.

منظومة القيم المؤهِلة للحضارة

الإخوة الأحباب عشاق الوطن ..نحن الآن بصدد النصف الثانى من طوق النجاة الأول الذى أنهينا نصفه الأول هادفين بكل الصدق إلى توصيف الملامح المميزة لواقع مجتمعنا المصرى بصفة عامة وبصفة خاصة واقع فئة الشباب التى باتت تعتنق قيمًا هشة ورخيصة هى فى حقيقتها مجموعة من فضلات ونفايات الحضارات الأخرى .

وكنت قد أشرت إلى أن هذه القيم البالية لا تصلح سوى لإقامة حضارة من مثيلات حضارة شارع محمد على ، ولو أن حضارة هذا الشارع بكل قيمها الحقيرة لم تنجح فى جعل هوامش المجتمع أسيادًا ورموزًا ونجومًا كما هدفت ونجحت فى ذلك الأجيال التى تلتها منذ الخمسينات فى القرن الماضى وإلى يومنا هذا ، إذ كان المجتمع قبل هذه الحقبة دقيقًا إلى حد بعيد فى إعطاء كل فئة ما يناسبها من مكانة ، فلم نكن نسمع إلا فى حالات نادرة أن أحد العاملين فى هذه المهن لهم صداقات مع رموز المجتمع من السياسيين والمفكرين والرأسماليين الوطنيين كما هو حادث الآن بل إن هؤلاء الرموز كان إذا زل أحدهم أو ابتلى بداء التدنى والانحطاط وغلبته نفسه فأقام علاقة مع أحد أو إحدى هؤلاء الهوامش إذا به يجد ويجتهد فى سترها عن مدارك الشعب باعتبارها وصمة عار ستلحق بشخصه وسقطة ستنال من مكانته وتهدد مستقبله ، كما لم نكن نسمع إلا فى حالات نادرة أن هؤلاء الهوامش بإمكانهم تحقيق الثروات الطائلة خلال فترات زمنية محدودة متجاوزين طموحات واستحقاقات جميع الشرفاء من العلماء والعاملين والمفكرين الذين هم البناة الحقيقيون للوطن الذى يهدمه هؤلاء ، كما لم يكن فى وسع هؤلاء الهوامش أن يتجرأوا على

مجرد التفكير فى المطالبة بإنشاء روابط أو نقابات لتعبر عن طموحاتهم وتحمى ممارساتهم ، حيث كان هؤلاء الهوامش على الرغم من وضاعتهم الأخلاقية يدركون تمام الإدراك ــ كما كان المجتمع يدرك ــ أن لهم حدود لا يمكن تجاوزها وأنهم مجرد أدوات للتسلية الرخيصة ووسائل للمتعة الحقيرة فقط ، لذا فقد كانت طموحاتهم لا تتعدى مجرد البقاء على وجه الحياة وهى نفس الطموحات التى صار الشرفاء يتطلعون إليها فى مجتمع صار أسياده ورموزه ونجومه من الراقصات والمتبجحات واللاعبين وأصحاب رءوس الأموال اللقيطة ــ التى تحتاج تشريعًا بحرقها بعد غسلها ــ ومدعى الفن من الرجال والنساء الذين وصل بهم الشطط العقلى والغيبوبة الأخلاقية إلى التشدق بأنهم أصحاب رسالة ، ولست أرى فى الغالبية العظمى من الأعمال الفنية سوى مجموعة من الدروس الخصوصية التى تحرض المجتمع وتدعوه إلى التخلى عن قيمه وعاداته السليمة واعتناق كل صور السقوط والانحطاط ، ومن موجبات السخرية أن تجد رجلاً ــ أو مخلوق على صورة رجل ــ يقوم بدور البطولة أمام زوجته التى تؤدى دور امرأة ساقطة تعبث بجسدها أيادى المشاركين فى العمل على مرأى ومسمع من زوجها ومن المجتمع كله ورغم ذلك فلا يجب أن نندهش إذا تم استضافة النجمين فى أحد البرامج لتهنئتهما على نجاح هذا العمل الرائع وعلى ما حققه من إيرادات وسؤالهما فى لهفة عن السر فى هذا النجاح ليرد الزوج الفنان بادئًا بحمد الله وناسبًا هذا النجاح لفضل الله وللجهد الصادق والآداء المتقن من جميع المشاركين فى العمل ، أى أن هذا المخلوق يعتبر تعرى زوجته نجاحًا ويعتبر العابثين بجسدها أهل فضل ونعتبره نحن السفهاء نجمنا وقدوتنا ومثلنا الأعلى فى زمان حجبت فيه النجوم وشحت فيه القدوة وتوارت فيه المثل .

وإلى هنا إخوة الوطن فقد وصلت الرسالة ، وهى رسالة ذات قيم ولكنها لا تصلح سوى لإقامة حضارة يمكن استخراج شهادة وفاتها فى نفس يوم مولدها ، باعتبارها حضارات لاتولد إلا ميتة أو قتيلة بفعل فيروسات الفساد الكامنة فيها،نعم هى حضارات ميتة لا تليق إلا بأمة سخرت رجالها وإمكانياتها وإعلامها ودبلوماسييها للسعى المحموم نحو مايدعى البعض أنه قضية مصر والمصريين ، إنها مأساة اللهث وراء تنظيم

كأس العالم لكرة القدم عام ٢٠١٠ ، هذا التنظيم الذى تقدر ميزانية الإعداد – فقط الإعداد– لمقوماته بحوالى مليارى دولار أى حوالى أربعة عشر مليار جنيه مصرى معوم أى مايزيد عن نصف الميزانية السنوية التى تخصص لتعليم واحد وعشرين مليون مصرى فى مختلف مراحل التعليم أى ما يقدر بضعف ميزانية الرعاية الصحية لشعب مصر الموبوء ، هذا التنظيم الذى من أجله شكلت لجان بعضها برئاسة رئيس البرلمان وبعضها برئاسة رئيس الوزراء لكى يسافروا فى مأموريات عمل لإقناع المسئولين عن هذه المسابقات بلهفة مصر وأحقيتها بهذا الحلم الوطنى ، هذا التنظيم الذى سيجعلنا ننسى همومنا ونتفرغ لمشاهدة المعارك الرياضية والقادة الرياضيين والانتصارات الرياضية التى يروق لنا أن نتغنى عقب كل منها بالنشيد الوطنى القائل : المصريين أهمه .. حيوية وعزم وهمه .. المصريين أهمه .. فى الدنيا أول أمة .. جيل بعد جيل متقدمين .. المصريين المصريين المصريين !!! ألم أقل أنها مأساة .

لقد اختلت قيم الأجيال الشابة كنتيجة حتمية للإلحاح الإعلامى على قيم التسيب ــ ولا أقول التحرر ــ وعلى بروزة رءوس التبجح والعرى وأتباعهم وصناعهم إلى الدرجة التى تجرأوا فيها على إنشاء مدارس لتعليم الرقص ، ولا أدرى من سيعلم من بعد أن صار شبابنا ــ الذكور منهم قبل الإناث ــ محترفى رقص وأفضل من راقصات شارع محمد على ، لقد اختلت القيم لأن المجتمع بكل سلطاته بما فيها سلطان الأسرة رضخت لطوفان السقوط والساقطات واعتبرتها أمرًا واقعًا لا مفر منه ولا قدرة على تغييره ، ومن أسف أن تجلس إحدى زاعمات أو زاعمى الحكمة والخبرة أمام ميكروفونات الإذاعة والتليفزيون ليرسخوا فى نفوس شبابنا كل قيم التبجح والتطاول والندية مع الكبار حينما يتوجهون للآباء والأمهات بالنصيحة فى كيفية تربية أبنائهم وامتصاص حماستهم بقبول الكثير من أوضاعهم والاستماع الدائم بلا ملل إليهم !! ثم تتوالى النصائح لتصل إلى توجيه اللوم للآباء لأنهم يصرون على تربية أبنائهم وفق ما تربوا هم عليه وهذا يخالف الصواب إذ أن هذا جيل آخر !!!!

خالص الشكر لكم ولكن أيها الحكماء الخبراء ، فقد نبهتمونا لما غفلناه وعلمتمونا

ما جهلناه ، نعم أبناؤنا جيل آخر جيل تربى على أفكاركم المتحـضرة حتى صارت البنات يحـملن من زملائهن فى مراحـل التعـليم المختلفة وحتى صرنا نرى فى الشوارع والأماكن العامة الشباب وهم يعـبثون بأجـساد الفـتيات دونما حـياء أواستحـياء ، وصلتنـا رسالتـكم التربوية ولكننى أدعو الشباب ألا يلتفتوا إليها بل وأن يبصقوا عليها وأن يفيقوا من غفلتهم وأن يعلموا أننا لا نريدهم نسخة منا كما تزعمون أيها الجهلاء ، لسبب بسيط وهو أننا لم نكن على صواب لا نحن ولا آباؤنا ولا أجدادنا ، لذا فنحن نريدهم أن يكونوا بداية جـديدة لمصر وللأمة كلها ، نريـدهم أن يعلموا ويعملوا بما لم يعلمه هؤلاء الجـهلة ولم يعملوا به ، نريد منكم أيها الشباب أن تعلموا أن للتربية شقين فأما أولهما فهو منظومة القيم التى تحكم تصرفات الإنسان وهو شق ثابت ومن الضرورى أن يظل ثابتًا وليس رجعية ولا تخلفـًا أن يظل ثابتـًا ، وإنما الذى ينبغى أن يتغير وأن يتـطور وألا يتوقف عن الحركة فهو الشق الثانى الذى يمثـل الجانب العلمى بكل مناحيه وبكل تطبيقاته النافعة . لقد حكى لى أحد الشباب المحترمين ــ وهم قلة فى هذا الزمن الردىء ــ ويعمل فى إحدى الأجهزة الرقابية المهمة أن له زميلة تكبره سنـًا حيث تجاوزت الأربعين ــ أى أنها ليست من جيل الشباب ــ سألها يومًا عن أمنيتها فى الحياة فقالـــت له أن أمنيتها هى أن تصافح المطرب فلان.. فتعجب وقال لها وماذا بعد ؟ فقالت له أنها لم تفكر فى بعد هذه لأن هـذه هى أقصى أمانيها !!!!!! قسمًا باللـه لولا يعاب على هذا الكتاب لأكملت صفحاته كلها بعلامات التعجب ولرجوت الناشر ألاتقل الصفحات عن ألف ، إن هذا الواقع الذى عبرت عنه امرأة الأربعين هو بالتأكيد أقل وطأة من الذى يمكن أن تعبر عنه امرأة فى الثلاثين ، فما بالنا بالواقع الذى يمكن أن تعبر عنه فتاة العشرين أو من دونها سنـًا !! إن امرأة الأربعين لم تقل أن أمنيتها مصافحة رئيس الدولة أو الدكتور زويل أو فاروق الباز أو أحد علماء الإسلام وإنما قالت أن أمنيتها هى مصافحة مطرب أقسم باللـه لولا ما نحن فيه من غيبوبة وبلاهة وسفاهة مازادت قيمته عن مجـرد الطموح إلى أن يمنحه المجتمع حق البقاء !!!

إن هذا الواقع لن يلد لنا سوى مستقبل نحن منه أبرياء قبل أن يولد ، لذا فمن الواجـــب علينا إذن أن نجـتهد فى تغـيير ملامح الواقع الظاهرة وصفاته الباطنة لكى نضمن

لمصر مستقبلاً كلما مر علينا يـوم ازددنا شوقـًا وتلهفـًا إلى اللحظة التى سيولد فيها لنباهى به الدنيـا كورثة شرعـيين لأصدق وأنبل من دعا إلى الحـق والخـير والجـمال سـيدنا ومولانا وهادينـا ومعلمنـا ورحمة اللـه المهداة إلى جميع خلقه محمـد بن عبد اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، ولعـلنا بداية يجب أن نحـدد طبيعـة الحضارة التى ننشدها لكى نحـدد تبعًا لذلك المقـومات التى يجـب أن تتوافـر فى صناعها والقيـم التى ينبغـى أن تنال احترام المجتمع والقيم التى يجب أن تنال احتقاره وبحـيث يتم ذلك فى إطار خطة قومية طموحة وجادة يقـوم على تنفـيذها ومتابعتها رجال صادقون مع اللـه ومع أنفسهم ، رجـال يعرفـون أين صـار الوطن وأين ينبغـى أن يكـون ، رجال يؤمنون بأن مقاعد السلطة هى منابر لخدام الشعب لا لأسياده ، رجال يرحبون بالمسئولية ولا يترفعون عن المساءلة ، رجال يرتبـط بقاؤهم بالإنجازات التى يقدمونها للشعب لا للحكام.. على أرض الواقع الملموس لا من خلال الخـطب والتصريحات والتقارير والإحصائيات الوهمية ، رجـال يمنعهم حـياؤهم من اللـه أن يستهينوا بآلام الشعب وأن يستخـفوا بآماله متخـذيـن من سماحة هـذا الشعـب وصبره على البـلاء ذريعـة إلى هـذه الاستهانة وذاك الاستخفـاف ، رجال يشعرون بعناءات أبسط المواطنين ، رجال يملكون الرؤى الوطنية الجادة والقـادرة على مواجـهة قضايـا مصـر والانتصار عليها بالإصرار الدائـم والعزيمة الصلبة ، رجال قادرون على تجـسيد أحـلام العـدالة فى كل صورها ، رجـال قادرون على تحـقيق الوحـدة الوطنية بمفهومها الشامل الـذى لا يقـتصر على حـدود التسامح الدينى فقـط وإنما يتعـداها إلى تجاوز كل صـور التعـصب والعنصرية الجـغرافية التى تجـعل سكان كل محافظة يتوهمون أنهم يمتلكون دون غيرهم أفضل الصفات وأن الآخرين لا يمتلكون سوى أقبح الصفات .

الإخـوة الأحـباب عشاق الوطن .. إننا ننشد صـنع حـضارة تمتلك مقومات القـوة والبقـاء ، فأما مقومات القـوة فهى تتمثل فى تحـقيق تقـدم علـمى وتكنولوجى مطرد ومتواصل يدعمـه نظام اقتصادى قـادر على تحـقيـق أفضـل استغلال لموارد الدولة وثرواتها، وأما مقومات البقاء فتتمثـل فى شىء واحـد وهو العنصر البشرى المزود بمنظومة قيم سليمة تؤهله لتأمين الحضارة وصيانتها من فيروسات ونفايات وفضلات الحضارات

الأخرى .

ولما كانت من المسلمات البديهية أن لكل صناعة خامات وأدوات ومراحل وصناع يميزونها عما سواها من الصناعات ، وحيث إن الحضارات على اختلاف أنواعها ماهى إلا صناعات بشرية ، وحيث إننا ننشد حضارة علمية أخلاقية ، فلا خيار أمامنا سوى أن نوفر لها الخامات والأدوات المناسبتين والصناع المؤهلين لتصنيع هذه الحضارة عبر مراحل وخطط زمنية عاجلة وغير متعجلة وهو ما أراه يتمثل فى حزمة من السياسات والرؤى أراها حتمية وأرى ألا يتم تأجيلها لأننى أخشى استنادًا إلى معطيات الواقع أن تزداد يومًا بعد آخر مناعتنا الحضارية ضعفًا فوق ضعفها وأن تزداد مقوماتنا العلمية والاقتصادية نزيفًا فوق نزيفها فنفقد ما تبقى فينا من إرادة فينفلت زمام الزمان من أيدينا وتنفرط أعوامه مسرعة بعيدًا عنا إلى حيث التاريخ وصناعه تاركة إيانا لننظر إلى نهايتنا التى صنعناها بأيدينا وهى تزحف إلينا بجحافل اليأس والبؤس التى لاطاقة لنا بها .

إخوة الوطن .. إن أخشى ما أخشاه أن تطول غفوتنا وغفلتنا وخمولنا وجمودنا حتى يأتينا الغد بغتة فنرى أطفال اليوم وقد صاروا شبابًا .. وشباب اليوم وقد صاروا رجالاً .. ورجال اليوم وقد صاروا شيوخًا .. وشيوخ اليوم وقد صاروا مجرد ذكرى .. ترى ماهى ملامحنا فى هذا الزمان ؟ ترى ما هو موقعنا فى هذا الزمان ؟ إنه زمان ستتمرد فيه الانجازات على الأقوياء المتنافسين ، أما نحن وأمثالنا فإن الأحلام ــ مجرد الأحلام ــ ستكون عبثًا ووهمًا لا لشىء سوى أن هذا الزمان وهو أقرب مما نتوقع سيقوى فيه المفسدون ويعم فيه الفساد إلى الدرجة التى يستحيل معها هزيمته بل ويستحيل معها مجرد التفكير فى مواجهته مالم نأخذ اليوم وليس غدًا بمجموعة من الحتميات هى إضافة لما سبق تتمثل فيما يلى :

(١) استحداث سياسة تعليم جادة ورائدة وقادرة على تحقيق طموحات الأمة فى حضارة علمية أخلاقية تقوم على أسس راسخة وتسعى إلى أهداف محددة وتنتهج أساليب وإجراءات فعالة .

(٢) صياغة وإصدار دستور وطنى جديد يحمل فى إطاره المعالم الأساسية لنظام حكم ديمقراطى سليم ليس بالضرورة أن يكون استنساخـاً من تجارب الآخرين خاصة وبين أيدينا كنز الشريعة الإسلامية المرصع بغوالى القيم والمبادئ الكفيلة بتجسيد كل معانى الحق والخير والجمال عبر السلطات والمؤسسات الدستورية المختلفة.

(٣) إيجاد حلول استراتيجية جذرية لقضايا الإسكان والسكان وما يتفرع عنهما من قضايا وتخليص الاقتصاد المصرى من كل العوائق التى تحول دون انطلاقه إلى دائرة المنافسة العالمية وتحقيق أفضل استغلال ممكن لثروات المجتمع وكفاءاته وموارده.

(٤) إقامة جسور من الصدق للتواصل مع أنفسنا ومع الآخر.

أما بعـد .. فقـد كانت هـذه هى أهـم الحـتميات الواجب توافرهـا فى البيئة القـادرة على إيجـاد مجـتمع مؤهـل لصـنع حـضارة قوية وقادرة على البقـاء، وهى حـتميات ينبغى أن توليها كل الأطراف ما تستحـقه من اهـتمام وعـناية، إذ أن هذه النوعية النادرة من الحضارات لايمكن صناعتها مالم تتكامل أدوار كل السلطات الدستورية والقوى الشعبية بما فيها دور الأسرة والمجتمع فى أن يدرك كل راع مدى ضخامة المسئولية التى سيتحملها فى الآخرة إذا ما قصر فى رعايـة وتربية وتوجيه من يرعاهم وذلك مصداقـاً لما ورد فى الأحاديث القدسية التالية:

الحـديث الأول ويمكن توجـيهه للمسئولين والآباء والأزواج الذين تحولوا إلى مخـلوقات باردة لا تغار على إهدار الأخـلاق والأعراض .. « **إن اللـه تعـالى لم يخـلق بيده إلا ثلاثة أشـياء، وقـال لسـائر الأشياء كن فكان، خلق الله القلم وآدم والفردوس بيده، وقال لها: وعزتى وجلالى لايجـاورنى فيك بخـيل، ولا يشم ريحك ديوث** »

المعنى الذى أفهمه: أن الله اخـتص البخـيل والديوث – الذى لا يغار على أهله – بالذكر فى هذا الحديث لتنبيهنا إلى بشاعة هذين الجرمين باعتبار أن الكثير من الناس قد تخونهم عقولهم فى النظرة إلى البخل والدياثة، إذ قد يرى البعض أن البخل هو مرادف للحرص وعدم التبذر وأن الدياثة هى دماثة خلق ومدنية وتحضر وأن الغيرة هى من

الصفات المذمومة كما يروق لبعض زاعمى العلم أن يصفوها ، كما أفهم من الحديث أن الديوث أبعد عن الجنة من البخيل ، إذ أنه من البعد إلى درجة أنه لن يشم رائحتها ، ومن المنطق أن رائحة الجنة هى فى ذاتها إحدى درجات النعيم .. والله أعلم

الحديث الثانى وأتوجه به إلى كبار السن المتصابين المستمرئين للمعصية بدلاً من التوبة إلى الله ورجاء مغفرته.. يقول الله تعالى : «**وعزتى وجلالى وجودى وفاقة خلقى وارتفاعى وعز مكانى (إنى) لأستحيى من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام**» ، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل يارسول الله ما يبكيك ؟ قال : أبكى ممن يستحيى الله منه ولا يستحيى من الله .

الحديث الثالث وأتوجه به إلى الآباء كى يجتهدوا فى حسن تربية أبنائهم بما يعود على الطرفين بالخير فى الدنيا والآخرة .. « **إن الله تعالى ليرفع الدرجة العالية للعبد الصالح فى الجنة، فيقول : أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك** » ومن المعروف أن للرسول صلى الله عليه وسلم حديثاً يؤكد على نفس المعنى ويقول فيه « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، علم نافع أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له** » .

الحديث الرابع والأخير وأتوجه به إلى أفراد المجتمع كله كى يعودوا إلى الله ليجعل لهم من كل ضيق فرجًا وييسر عليهم مشاق الحياة بما فيها ظلم أهل السلطة والسلطان .. إن الله تعالى يقول : « **أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك والملكوت ، قلوب الملوك فى يدى ، وإن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرأفة ، وإن العباد إذا عصونى حولت قلوبهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، ولا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر كى أكفيكم ملوككم** » .

المعنى الذى أفهمه أن الشعوب إذا شاعت فيها المعصية بكل صورها استحقت نقمة الله ، وأن نقمة الله قد تأتى فى صور لا يحصيها إلا هو سبحانه وتعالى ، وأن من هذه الصور أن يسلط الله الحكام على شعوبهم فيظلموهم ويقهروهم و يغفلوا عن عناءاتهم وآلامهم حيث لا يشغلهم سوى ترسيخ بقائهم فى الحكم حتى وإن كان بغير رغبة الشعوب وهو

إذلال ما بعده إذلال ، إلا أن أهم ما لفت انتباهى فى هذا الحديث أن الله لم يحث الشعوب على مقاومة حكامها بالقوة كما يروج البعض ، بل إن الله يأمرنا بألا نشغل أنفسنا بالدعاء عليهم إذ يكفينا أن نعود إلى الله وهو حينها كفيل بإصلاح أحوالهم ، أى أننا لا يجب أن نتمسك بالباطل فى حياتنا العامة والخاصة فى ذات الحين الذى لا نكف فيه عن انتقاد المسئولين ، ونظرة واحدة على الكيفية التى تدار بها الصحافة المصرية المعارضة منها قبل القومية لنتبين أن الكثيرين ممن يحملون أمانة الكلمة إنما يوهمون الشعوب بأنهم فرسان الحق والحرية والمساواة ، وهم أبعد الناس عن هذه القيم ، ويقينى أن السلطات لو علمت فيهم خيرًا وصدقًا لخشيتهم ولحولت مسارها نحو الحق والحرية والمساواة ، ولكنها تعلمهم وهم يعلمونها وما هى إلا أدوار يتم أداؤها على مسرح جمهوره هو أنتم جميعًا ، فهل أنتم على حق أم أنكم كمن يقف فوق خشبة المسرح !!

obeikandl.com